الطوباوي سالومون (١٧٤٥ـ١٧٩٢)

من اخوة المدارس المسيحيَّة واحد شهداء الثورة الفرنسوية

بقلم ي . ج احد اخوة المدارس المسيحية في الشر

. ان الاخ «سالومون» الذي أدرج قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر اسمهُ في سجلّ الطوباويين ينتسب الى عائلة افرنسيَّة تُدعى «ليكلير» كانت شديدة التمسُّك باهداب الديانة المسيحية وكانت معروفة في بولونية سورمير (Bologne-sur-mer) بتجارتها الواسعة

كان والده فرنسوا ليكلير احد اغنياء تلك المدينة ومن اعظمهم شهرةً ، ولم تكن تجارتهُ لتمنعهُ عن الاعتناء بتلك الأُسرة العديدة التي منحتهُ اياها العزة الالهية. وكان الرجل طويل القامة ، جليل الهيبة ، متوقد الذكاء ، قد اتخذ شريكةً لحياته «ماري بارب دي پون» في ١٣ تشرين الاول سنة ١٧٣٩ فرزقهُ الله منها احد عشر ولداً عاش منهم سبعة صبيان وابنتان . وكانت تلك القرينة تناسب بعلها ذكاءً وفطنةً ، لها إلمام بالاشغال التجارية ، وكانت ابيَّة النفس لطيفة المشر تقيةً تحضر الذبيحة الالهيـة كل صباح على الرغم من تراكم اشغالها ، وهناك قرب السيد المسيح ينبوع الحياة كانت تستقي تلك الروح القوية التي كانت تساعدها على احتمال اتعاب الحيـاة العائليَّة ، وتؤهلها لتربية بنيها العديدين تربيةً حسنة

وُلد بطلُنا في بولونية سورمير سنة ١٧٤٥ ودعي نقولا ثمَّ نشأ في حجر والديه المتديِّنين الى العاشرة من سنيه

ففي هـذا الوسط المسيحي ترعرع نقولا لكليرٍ سائرًا حسب اوامر والديـهِ المتصفَيْن الاعتصام التامّ بالديانة الكاثوليكية تابعاً اثرهما في طريق الفضيلة . وكثيراً ما كان يغتبط ويشكر الله في الرهبنة لمجرد ذكر والديه ، ولعظم غيرتهما على تربيتهِ قائلاً: «ان والدتي كانت تزيد في الشوق لخدمة الله وتجتهد لكي تعظّم في نظري الخيرات الحقيقية» . وكم كان يردّد هذه العبـارة: «اني اشكرك يا رب لانك خلقتني

ابنَ والد فاضل وَرِع ، بذل النفس والنفيس في سبيل تربيتي تربيةً مسيحية »

ولما بلغ العمر الذي امكنهُ فيه دخول المدرسة أُودع في مدرسة الفرير الموجودة في مسقط رأسه ، ولم يمض عليه زمن قليل حتى اصبح مثالًا صالحاً وقدوة حسنة لاخوانه التلامذة في السلوك والتقوى ما جعل والدتهُ تتهلل قائلةً : «ان ولدي منذ دخوله تلك المدرسة المسيحية اصبح ينمو كشجرة غُرست في تربة حسنة على ضفاف نهر كبير» . فلا عجب ان نراهُ بعد ذلك يؤدّي به جهده وكدّه الى اتمام ارادة خالقه

ففي السادسة عشرة من عمرهِ غادر المدرسة وامال نظره نحو التجارة فباشرها . غير انهُ كان في مهنته الجديدة متّبعاً كل ما يوحيه اليه الضمير والانصاف بعيداً عن الطمع والجشع والبخل لانَّ نفسه كانت محلّاة باعظم المزايا واكمل الصفات

امّا تلك المهنة فقد اوجبت عليه الابتعاد عن بلده وذويه والدخول في خدمة احد التجار المدعو «فورنيه» فاقام عنده ثلاث سنوات محروماً من عطف والديه ومن حماية اقاربه مختلطاً مع اناس يجهلهم . فكم كان ذلك شاقًّا على بطلنا في بادئ امره بعد ان كان في حجر والديه يقضي حياة سعيدة بين اخوته واخواته ويشاطرهم الحنو الوالدي

ومن العجب انهُ في تلك البيئة حيث كانت الديانة موضوع الهزء والاهانة ظلَّ محافظاً على نقاوة قلبه وطهارة ضميره جارياً على قوانين الدين المسيحي واصول الاداب التي اكتسبها في المدرسة المسيحية وفي حجر والديه رغماً عما رآهُ من فساد الاخلاق وضعف الايمان في شبّان لم يساعدهم الحظ ليتربوا تربيةً نظير تربيته . وممّا كان يجرح فؤاده معاملة هؤلاء الشبان له حينما شعروا بتقواه وسداجته . فانهم جعلوه هدفاً لمزاحهم وسخرياتهم التي ، وان لم تكن صادرة عن مقصد سيّئ ، كانت تؤلمه كثيراً . ولكن ايمانهُ المتين لم يتزعزع وارادتهُ الصخرية لم تتغيّر . فكانت حراجة موقفه هذا توطئةً وتمهيداً لتلك التجارب العديدة التي سوف تنتابه في مستقبل حياته

ثم عاد نقولا لكلير الى مسقط رأسه سنة ١٧٦٦ وهناك عيّنهُ احد اخواله «لويس دي تيون» ناظراً عاماً على معمل لهُ ، وبما ان هذه الوظيفة الجديدة تتطلّب خبرة واسعة لمعرفة طباع مستخدميه وعلماً وافياً شقَّ عليه ذلك واقرَّ بكل صراحة بعدم كفاءته لهذا المنصب ، وشعر بحاجة الى اتمام علومه التجارية في باريس ، فنال رضى

عائلته ومساعدتها في هذا الامر الهامّ

ففي صبيحة يوم ركب عربةً اوصلتهُ الى باريس بعد ثلاثة ايام، وهناك استأجر غرفةً لهُ في حي «لوكسمبورغ» وكان يتناول طعامهُ في احد المطاعم التي كان يتردَّد اليها بعض شبانٍ لا دين لهم. فكانت احاديثهم بذيئة تُشعر بالكفر والالحاد واحتقار الواجبات. والى القراء ما صرّح بهِ الاخ سالومون نفسه عن هذا المطعم المجونيّ في رسالة الى اختهِ سنة ١٧٧١ قال: «لو كنتُ اعرف باريس حق المعرفة لما كنت ولجتُ هذا المطعم»

وكان تقولا في هذا الوسط الفاسد مقبوض الصدر، مكلوم الفؤاد لا يجد تعزيةً ولا سلوى الّا بمطالعةِ رسائل والدتهِ التي كانت ترسلها له من وقت الى آخر

ثم انه لكثرة حيائهِ وخجلهِ لم يقدم على مجادلة هولاء الشبّان الاشرار ومقاومتهم بل كان بعض الاحيان يلبّي دعوتهم الى اللعب ويذهب معهم الى المتنزهات خارج المدينة خوفاً من ان يظهر امامهم غريباً من اطوارهم فيزيد حنقهم وسخريتهم منهُ. لكنهُ لم يكن يفعل ذلك الّا مكرَهاً لانهُ كان يشعر بوجوده في محلّ لا يريده الله. والذي كان يزيد موقفهُ حراجةً اعتقادهُ بان المثل الرديء والحياء البشري يبعدان الانسان عن فعل الخير

وانما كان يساعدهُ على كبح اهوائهِ ومقاومة تحريضات هولاء الشبان الكفار لحفظ ايمانهِ وفضيلته ممارستُهُ لسرّ الاعتراف وزيارتهُ للقربان المقدس كلّما مرَّ بكنيسة. فهذه العوائد المسيحية حفظت قلبه نقياً من كل خطيئة، فما كان يجرأ على خيانة ضميره، بل كان ينظر نظر اللبيب الى عاقبة الامور

فهذه التأملات لم تزل تؤثر في قلبهِ اعظم تأثير الى ان اظهرت لهُ اباطيل العالم، وولّدت في فؤادهِ كره تلك الفانية. ورغماً عن اعتقادهِ بان الانسان يقدر ان يخلّص نفسهُ في العالم كما في الرهبنة فانهُ كان يشعر بعدم مقدرتهِ على تخليصها وهو في العالم كمستخدم تجاري. ولذلك انهى حسابهُ مع مديرهِ وعاد الى بولونيا في اوائل اذار سنة ١٧٦٢، وعندما سأله والداه عن سبب عودتهِ الفجائية اجاب معلناً لهما باحزانهِ ومشقّاتهِ العديدة وختم كلامهُ قائلاً: «انني لم أُخلق لاعيش في هذا العالم الذي كثرت فيهِ المآثم والشرور، ولهذا فاني اودُّ الدخول في جمعية اخوة المدارس المسيحية»

فبعد ان اختبر الشاب نقولا لكلير العالم مدةً تركهُ ورغب في الكمال ، ثمَّ بحث عنهُ فلم يجدهُ الأبين اساتذتهِ ومؤدبيهِ اخوة المدارس المسيحية

ان حياة هؤلاء الرهبان الافاضل المحرومة من الكهنوت تظهر كلغز لمن لا يعرفهم ، ولكن تلاميذهم واصدقاءهم يعلمون حقَّ العلم الى ايّ مقام من العزّ تعلو بهم غيرتهم ، والى اي شرف عند الله يؤدّي بهم تواضعهم . فروح القديس يوحنا دي لاسال مؤسسهم هي روح جهاد في خدمتهِ تعالى وتهذيب الاحداث والشبّان ، وقوانين هذا القديس هي قوانين مؤسسي الجمعيات العظماء . فهي تُولّد ، بواسطة الحياة الروحانية والتقشفات والطاعة والعفّة والفقر ، زهّادًا يتممون الاعمال المسيحية الى اقصى درجاتها من الكمال . فلا بدعَ اذا اعتنق بطلنا المتخرج في مدارسهم معيشتهم لينجز مشروعهم العجيب

ولم يكن نقولا لكلير الوحيدَ بين اخوتهِ العديدين في انقطاعهِ لخدمة الله . فانَّ اخاهُ البكر كان سبقهُ فدخل رهبانية القديس فيليبوس النيري ولكن لم يعش طويلاً حتى توفاه الله في مدينة «تروا» حيث كان مدرساً في احدى مدارس تلك الرهبانية الشهيرة سنة ١٧٦٣ . ثمَّ تبع اثنان آخران من اخوتهِ نصائح الكمال الانجيلي ايضاً وقد ماتا في ريمان شبابهما بعد اعتناقهما الرهبنة بمدة وجيزة . فلم يتذمَّر والدهم التقيّ من تلك الضربات المتواترة على قلبهِ الكبير . ولمَّا عرض عليهِ رابع اولاده دعوتهُ اجابه ملبّياً طلبهُ بعد ان استشار بعض اصدقائهِ الكهنة ، وذهب هو نفسهُ الى مدرسة الفرير ، وخاطب الرئيس عن دعوة ولده نقولا ورغبتهِ في الدخول في جمعيتهم الزاهرة . فسرَّ الرئيس غاية السرور لما رأى من هذا الوالد من الاخلاق السامية ، وكم كانت هذه التضحية عظيمة في نظر البارئ تعالى

اما والدة نقولا فقد شعرت بفرح عظيم لدى بلوغها خبر دخول عزيزها في جمعية اخوة المدارس المسيحية لانها رأت في ذلك ثمرة تربيتها الصالحة واستجابة تضرعاتها التي ما برحت توجهها نحو الخالق لتقدُّم اولادها في طريق الكمال . ثمَّ انها زودتهُ بنصائحها الوالدية في الساعات الاخيرة قبل مغادرتهِ المنزل وواصلت ارشاداتها في رسالاتها العديدة بعد دخولهِ الرهبنة . والاخ سالومون يؤكد ذلك بقولهِ : ان والدتهُ كانت لهُ اعظم مرشد في حداثتهِ الرهبانية

كان نقولا لكلير في الثانية والعشرين من عمره حينما انتظم في سلك الجمعية المشار اليها. وقد لُقب بالاخ سالومون وسار سير الابطال في طريق الفضيلة. وبعد سنة الابتداء اصبح مثالاً لجميع اخوانه الرهبان، فعُهد اليه بتعليم الاحداث والشبان في «رين» و«روان» و«مارتيل» فبرع في هذا الفن الشريف مظهراً غيرة عظيمة، واجاد كل الاجادة في تلقين تلاميذه معرفة الله ومحبتهُ وخدمتهُ

ثم عُين رئيساً على المبتدئين، فكان منارًا لهؤلاء الشبان ينظرون اليه وهم سائرون في طريق الفضيلة. وبعد ذلك استحقَّ ان يكون وكيلاً عامًّا بالنظر لما تحلى به من الفضائل السامية والمعارف الكثيرة فكان يصحب الرئيس في جميع اسفاره، ويساعدهُ في اعماله الادارية، ولم يكن مبتغاه طول جهاده الّا مجد الله وخير القريب

وفي سنة ١٧٩٢ اوقفهُ الثوار بغضاً بالدين المسيحي الذي كان يدافع عنهُ بجميع قواهُ. واعتُقل مع من اعتُقلوا من الاكليروس المكرَّم في سجن الكرمليين في باريس، وأبى ان يخضع للقرار المدني الذي وضعهُ الثوريون لاكليروس فرنسة. فذاق انواع العذاب ومات شهيدًا مع جماعة منهم في ٢ ايلول سنة ١٧٩٢. وقد كرمت الكنيسة المقدسة هؤلاء الشهداء الابطال باعلان تطويبهم في السابع عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٦

شعراء النصرانية بعد الاسلام

القسم الرابع

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٨ ميخائيل حاتم القوّال

﴿زمانهُ طائفتهُ﴾ هو الشيخ ميخائيل بن حاتم الحمصي. ولد في حمص في اواخر